تجربة النجاح المهني والمالي لدى الشابات اللبنانيات[1]

نهى بيومي

هجرت اللبنانيات دولتهن، لأنها تباطأت في إعطائهن الحقوق كاملة، وفوضت شؤونهن الأسرية إلى طوائفهن، وغيبن عملياً عن السياسة. هجرنها ولم يراهن عليها، بل تعلمن الاستناد إلى أنفسهن والاهتمام ببناء قدراتهن، داومن على فرديتهن ورعينها حتى صرن بارزات علمياً وثقافياً ومهنياً كأفراد وليس كجماعات ضغط[2] إلا فيما ندر. في هذا الإطار لا بد من الإشارة إلى أن الحرب أحدثت تغيرات ثقافية اجتماعية اقتصادية، كان من نتائجها تشدد الأهل المتعلمين في تأمين أوضاع بناتهن من اهتزازات الوضع الأمني والاقتصادي في لبنان عن طريق التعلم في أفضل المدارس والجامعات الخاصة. وفي إطار معولم اقتصاديا، بدأت حياة الشابات تدور حول سؤال مركزي يتعلق بالمهنة والمال، فلاحظنا بروز ظاهرة جديدة من الشابات اللبنانيات المتمكنات مهنياً ومالياً، لعل دراسة دوافعهن وأسباب نجاحهن تكشف لنا تغير التصورات الذاتية للنساء عن أنفسهن وتغير التصورات الثقافية عنهن.

(١) انجزت هذه الدراسة الميدانية بمنحة مشكورة من المجلس الوطني للبحوث العلمية في لبنان، ونقدم هنا موجزاً عنها بسبب شروط النشر.

(٢) نهى بيومي، النساء والتحولات السياسية في البحرين: السياسة وحجاب الواقع، مجلة حوار العرب بيروت ٢٠٠٥.

بينت تقارير التنمية البشرية والإنسانية التي طالت الوضع الاقتصادي في لبنان، ان نسبة الإناث الناشطات اقتصادياً هي بمعدل ٣٠,٧ بمقابل ٤٠ للذكور[٣] وتستنتج اللامساواة الجندرية في النشاطات الاقتصادية، وان نسبة الدخل التقديري للإناث إلى الدخل التقديري للذكور هو ٠,٣١[٤]. ويربط التقرير بين انتشار الفقر وإضعاف النساء إذ يؤدي فقر الدخل إلى إضعاف التمثيل السياسي والسيطرة على الموارد الاقتصادية، كما يفضي إلى إضعاف النساء في مجال شغل الوظائف العليا التشريعية والإدارية والتنظيمية.[٥] ويرجع السبب أيضاً إلى الثقافة الذكورية السائدة في المؤسسات التي تميز بين الجنسين في مستوى التشغيل والأجور. وتعتبر القوانين المتعلقة بالعمل أو الأحوال الشخصية من المعوقات أيضا.[٦]

دفعتنا هذه المعطيات للتساؤل: ألهذه الأسباب انحازت الشابات إلى الأعمال الحرة، فأسسن مؤسساتهن الصغيرة كي يتحررن من هذه المعوقات وخصوصاً من ذكورية المؤسسات؟ ألهذه الأسباب اخترن العمل في مؤسسات دولية أو خاصة أكثر مراعاة لعدم التمييز الجندري؟

بيّن التقرير الرسمي الثالث حول اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، أن نسبة القوى العاملة للإناث هي ٢٣,٢٪ وحسب الفئات العمرية (٢٠ سنة إلى ٣٩ سنة) تتراوح ما بين ١٢,٥٪ إلى ١٤,١٪، وان صاحبات الأعمال والنساء اللواتي يعملن لحسابهن يمثلن ١١,٢٪ من القوى العاملة النسائية.[٧] من المهم التوقف عند هذه الفئة من الشابات المبادرات إلى الاستقلالية، ومحاولة تشخيص المحددات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ومفاعيلها عليهن، خصوصاً وان الضغوط الاقتصادية التي تعاني منها الأسرة اللبنانية، والإدراك المتزايد لدى اللبنانيات لقدراتهن الاقتصادية، عاملان محفزان أكثر فأكثر لمشاركة النساء في مختلف القطاعات الاقتصادية.[٨] من وجهة نظرنا، هناك فئة جديدة من الشابات

(٣) تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٥، ص. ٢٨٨.
(٤) المصدر نفسه، ص. ٢٨٦.
(٥) المصدر نفسه، ص. ٩.
(٦) المصدر نفسه، ص. ٨.
(٧) على جميع أشكال التمييز ضد المرأة، بيروت ٢٠٠٦، ص. ٦٣. التقرير الرسمي الثالث حول اتفاقية القضاء.
(٨) المصدر نفسه، ص. ٦٨.

الجامعيات[٩] اللواتي كلما ازدادت كفاءاتهن المعرفية تزايد توجههن إلى الأعمال الحرة وإلى المؤسسات التي تشكل مصدراً لزيادة أموالهن، متجاوزات الاعتماد على الأهل والزوج.[١٠]

ومع أن النساء سيطرن على بعض القطاعات الاقتصادية مثل التربية والتمريض إلا أنهن لم يصلن إلى قيادتها ولم يحصلن على الأجر المساوي للرجال[١١]، وتعود الأسباب إلى الديناميكيات الثقافية والتنظيمية وتنميطات الأدوار الجنسية والجندرية الثقافية.[١٢] ويعتبر لبنان أكثر انفتاحاً من البلدان العربية في إتاحته فرص عمل النساء، خاصة بعد الحرب (١٩٩٠) بسبب التغيرات الاقتصادية التي أجبرت النساء على المساهمة في التنمية، فالكثير من البيوت لا يمكنها الصمود دون عمل الزوجين، ذلك أفضى إلى دخول النساء في قطاعات جديدة. كما أن هجرة الرجال أجبرت النساء على ارتياد أعمال غير تقليدية، ومع انه ازداد اعتبار النساء شريكات كاملات في اقتصاد العائلة لكن مواقع اتخاذ القرار في المؤسسات ما زالت حكراً على الرجال.[١٣] ويمكن القول أن الحرب في الوقت نفسه، أفرزت قيماً جديدة تخفض من قيمة العلم والعمل وتعلي من شأن الكسب السريع، فتعاظمت قيمة المال والاستهلاك والتبذير. وامتازت فترة ما بعد الحرب ولغاية اليوم بجملة من التناقضات التي

---

(٩) أظهرت دراسة المرأة العاملة، ان نسبة النساء العاملات المستقلات الجامعيات لا تتجاوز ١٥,٥٠٪ منهن واستنتجت ان الريف ومعه المدن غير بيروت، يشكلان بقدر ما يحضر فيهما التعاضد العائلي في التمويل إلى جانب المخزون الذاتي، مرتعا محتملا لترسخ أقدام فئة صاحبات المشاغل. أنظر: المرأة العاملة في لبنان، نتائج ميدانية وتحليلية، التجمع النسائي الديمقراطي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ١٩٩٧، ص. ٣٥٩-٣٦٧.
تندرج هذه الظاهرة في الاطار العربي حيث نجد ان ضعف الاقتصاد العربي اخل بالتوازن بين مستويات الدخول والاسعار وتفضيل الشباب العمل الحر او في القطاع الخاص. انظر:

(١٠) الشباب العربي ورؤى المستقبل، مجموعة من الباحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٦، ص. ٦٤.

(١١) نهى بيومي، نساء مساويات ورجال مسيطرون، التحول العالمي في رؤية الافراد للنوع الاجتماعي، الملف الثقافي جسور، جريدة الوطن البحرينية، ديسمبر ٢٠٠٥.

(١٢) Women in Management Review Vol. 20 No. 8, 2005, Constraints facing working in Lebanon: an insider view, Dima Jamali, Yusuf Sidani, Assem Safieddine, American University of Beirut, Emerald Group Publishing Limited, 0964-9425, p. 582.

(١٣) المصدر نفسه، ص. ٥٨٤.

تتزامن في وجودها[١٤]، فحين نخضع للعولمة الاقتصادية والتكنولوجية والى تنامي الشركات وتحفيز الأفراد للانخراط فيها[١٥]، فإننا نخضع في الوقت نفسه، للتنافس الطائفي والتعصب الديني والمناطقي والوطني، وللتمييز الجندري.[١٦]

منهجية البحث ومواصفات العينة

تهتم هذه الدراسة بالإحاطة بأسباب نجاح الشابات المهني والمالي ودخولهن في مهن حرة حديثة وبناء مشاريع فردية أو العمل في مؤسسات خاصة مرتفعة الأجور. كما تهتم بالتعرف إلى دوافعهن الذاتية والعائلية والمجتمعية التي ساهمت بشكل أو بآخر في تحقيق أهدافهن المهنية والمالية، وتدرسها كمؤشرات على تغير التصورات الذاتية للنساء عن أنفسهن وتغير التصورات الثقافية عنهن، وذلك عبر دراسة موقع المال في مسارهن العلمي والمهني والحياتي وكيفيات إنفاقه. وتعتمد هذه الدراسة على مقابلات ميدانية وعلى مقاربة نوعية مع خمس عشرة شابة لبنانية من اختصاصات ومهن ومواقع مختلفة، تتراوح أعمارهن بين العشرينات والثلاثينات متزوجات (٤٥٪) وعازبات (٥٥٪). ودعمت هذه المقابلات بأخرى أجريت مع ست سيدات من اختصاصات ومواقع مختلفة وأعمارهن تتراوح بين الأربعينات والخمسينات متزوجات بينهن مطلقتين، تنتمي العينة إلى الفئة المتوسطة بدرجاتها المتعددة. وقصدنا من العودة إلى جيل أكبر من اللبنانيات الناجحات، موضعة الدراسة عملياً في إطار زمني متسلسل، كي نفتح مروحة فهم وتأويل المتغيرات الثقافية والاجتماعية والمالية. ينتمين إلى مناطق وطوائف مختلفة لكن الجامع بينهن سكنهن في بيروت وعملهن بها، ما عدا ثلاثاً يعملن في دبي. وأجريت هذه المقابلات في الفترة الواقعة بين تشرين الثاني ٢٠٠٨ وكانون الثاني ٢٠٠٩.[١٧]

(١٤) انظر: ملحم شاوول، الافتراق والجمع، دراسات في المجتمع اللبناني، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٩٦، ص. ١٥٢.

(١٥) Manière de voir, La fabrication du conformisme, n.96, Janvier 2008.
مع تنامي الشركات خلق تخصص جديد في علم النفس وهو علم النفس التحفيزي.

(١٦) العولمة والنوع الاجتماعي: المشاركة الاقتصادية للمرأة العربية، مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث، كوثر، تونس ٢٠٠١.

(١٧) فيما يخص توصيف اهل الشابات، وجدنا ان نصف امهاتهن مستوى تعليمهن ثانوي ونصفهن الاخر جامعي ودراسات عليا، ثلثي الآباء مستوى تعليمهم جامعي ودراسات عليا والثلث الباقي ثانوية عامة، وجميع الابناء والبنات جامعيون–جامعيات. ثلث الأمهات عاملات في التعليم الثانوي والجامعي وإدارة

درسن في مدارس وجامعات خاصة في لبنان وخارجه مصنفة فئة أولى بين اللبنانيين. وتنوعت اختصاصاتهن ما بين هندسة معمارية، هندسة كمبيوتر، اقتصاد، إدارة أعمال، إدارة مالية وحسابات، شؤون دولية وعلوم سياسية، إخراج سمعي بصري، فنون الاتصال، فلسفة، علوم سياسية، نحت، وعلوم صحية وتغذية. غالبيتهن حزن على الماجستير ما عدا واحدة نالت الدكتوراه؛ ومزج بعضهن اختصاصاته.

وبسبب ضيق المساحة المخصصة لهذا البحث فاننا نكتفي بعرض سريع لعوامل النجاح المهني والمالي ثم نتوقف عند علاقتهن بالمال وسلوكهن المالي، ونناقش نتائج البحث. تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على علاقة الشابات بالمال ومسوغاتها، واستكشاف دور المال في حياة الشابات ومتغيراته وآفاقه، وصولاً إلى ملامسة التغيرات الثقافية/الاجتماعية التي تطال فئة محدودة من الشابات والتي تكشف التغيرات في الدور والوظيفة والتصور. وتركز هذه الدراسة على تبيان حالات تمثل خروجاً عن التنميط الجندري كما نفترض، من حيث تمتعهن بفرص أو ابتكارها من أجل الترقي الوظيفي والتمكين المالي.

لم يكن المال دافعاً من دوافع النساء الأكثر أهمية، بل هو لا يأتي في سلم أولويات الأجيال السابقة التي كانت تبحث عن العلم والانخراط في القضايا الحقوقية في الحياة العامة مع المحافظة على أهمية دورهن الأسري. لكننا نفترض أن هذا الجيل من الشابات أقل خضوعاً للتنميط الجندري وأكثر طموحاً للحصول على الثروات. كما نفترض صعود قيمة المال لديه ومحاولته التمكن المالي بعد العلمي تحقيقاً لطموحات ذاتية ومهنية مع سيادة العولمة الاقتصادية وبثها الترويجي لنماذج النجاح المالي. سوف نحاول رصد تصاعد قيمة المال وسوف نرى الروابط بين تحسن صورتهن مجتمعياً وذاتياً وبين تطلعاتهن المالية. وسنحاول التوقف عند الرابط بين تراجع القمع الثقافي/الاجتماعي في النظام الأبوي التمييزي وتغير المشهد المالي للنساء لدى فئة منهن.

تفترض هذه الدراسة أننا نواجه تحولات في الممارسات ونظام التمثلات للإناث تشارك في إزالة تركيب وإعادة تركيب منظومة أخرى، حيث يتفرد الفرد عن

عليا في الدولة. وتنوعت مهن الآباء بين الهندسة والتعليم الجامعي والاستيراد والتصدير وامتلاك مؤسسة تجارية وإدارة بنك ونائب في البرلمان وباحث في الكيمياء وإدارة مدرسة،الخ.

الجماعة دون قطع الروابط بينهما. هؤلاء الشابات صغن طلب المشاركة في نظام وطني وعالمي، نظام لا يستوعبهن ولا يدخلهن فيه. فكيف فعلن ليصرن جزءاً منه؟

حاولنا تقصي أسباب نجاح الشابات المهني والمالي ودوافعه، وجدنا أنها تعود إلى مؤسسات ثلاث، الأسرة والمؤسسات التعليمية ومؤسسات العمل. شكلت أسرهن إطاراً للأمان وللثقة، ورفعت لواء العلم والعمل والاجتهاد والتكوين الذاتي. معطيات أساسية انعكست على الشابات في خياراتهن المهنية والحياتية وعلاقتهن بالعمل. وتميزت غالباً، علاقتهن بالأب بارتباط وثيق ومميز، فابتعدن عن إحلال الآباء بأضداد الآباء أو البحث عن النضج على هامش علاقتهن بالأب. ارتباط دافع الى الاستقلالية الفردية مبني على موقف الأب والأم الايجابي من بناتهن وميل الأمهات إلى تقدم بناتهن عليهن، وهذا تغير في سمات الأسرة والسلطة الأبوية فيها، بغض النظر عن مدى انسجام العلاقة بين الأب والأم، وكأنه ينتقل إليهن أفضل ما في والديهما من قيم ورؤى وتطلعات.

وساهمت المؤسسات التعليمية في تكوينهن وتنمية قدراتهن الشخصية والمهنية والمالية، وشكلت مفتاحاً مهماً لإيجاد فرص عمل جيدة، كما أن تفوقهن أهّلهن لإجراء دراسات عليا في جامعات تخصصية[١٨]. يبقى أن الجامعات المرموقة تلعب دوراً تحديثياً في المجتمع في تبنيها قيم الاجتهاد والالتزام والمثابرة، فتغير سلوكات ووضعيات الشابات، عن طريق إعادة صياغة تمثلاتهن تجاه الهوية الثقافية والاجتماعية للمجتمع. بين التعلم في جامعات مميزة وبين دور الأهل الايجابي وعدم عيشهن تمييزاً بين الذكور والإناث لا في البيت ولا خارجه، ارتفعت وتيرة طموحهن فخضن تجارب مهنية مهمة. أفسحت المؤسسات التي عملن فيها[١٩] المجال لبلورة طاقاتهن وتجسيدها في ميادين الإنتاج، وغاب عنها عموماً التمييز بحقهن[٢٠]. هذا

(١٨) تقول «منذ تخرجي انفتحت أمامي كل الأبواب، لأن هذه الجامعة تعتبر مرجعا أوروبيا وعالميا، فشهادتها ليس من السهل نيلها».

(١٩) تعمل الشابات في مؤسسات حديثة متنوعة: شركة اعلان وتسويق دولية، مؤسسات مالية خليجية، شركة برمجة ومعلوماتية اجنبية، وزارة الخارجية، مجلة نسائية، محطة تلفزيونية، شركة بترول، جمعية شبابية اهلية، اما الاعمال الخاصة فهي:شركة مطاعم واستشارت، شركة مواقع الكترونية وبرمجة، محل تصنيع وبيع مجوهرات، محل تصنيع وبيع البسة واكسسوارات،الخ.

(٢٠) تقول «ليس هناك وظيفة للرجل ووظيفة للمرأة، هناك وظيفة، إما أن يعرف الموظف كيف يقوم بها أو لا يعرف، سواء كان امرأة أم رجلا».

الجيل ممتلئ عافية وقوة وجاذبية واندفاعاً لا تسيره تصورات تمييزية، بعد أن تمكن علمياً وتسلح بالمعرفة ونزل بقوة إلى ساحة العمل. احتضنهن رئيس المؤسسة لجديتهن وذكائهن وطموحهن[٢١]. ووجدن في العمل مع الإناث كمديرة أو كفريق عمل فضائله عكس ما يشاع عن صراع النساء.[٢٢] كما أن العمل في مؤسسات أجنبية أتاح فرص الترقي وخوض التجارب المهنية المختلفة التي تنمي القدرات وتقوي الشخصية.

كما وجدنا أن علاقتهن بالسلطة عامل من عوامل نجاحهن المهني والمالي إذ ليس لديهن مشكل مع السلطة عموماً ويتعاملن مع رموزها براحة دون قلق على مركزهن ومالهن وموقعهن، ولا تشكل تحدياً لكفاءتهن. ففي المؤسسة العائلية نرى توازنا في السلطة بين الأم والأب غالباً وعلاماته علاقتهن المتوازية بهما وتقديرهما المشترك لكليهما[٢٣]. في حالتين اختل التوازن بينهما بسبب تفرد الأب، كان من نتيجته اصرارهن على التوازن في السلطة في جميع مناحي حياتهن. وفي زواجهن نرى بوضوح علاقة زوجية متساوية، فالزوجان يعملان ويتشاركان المسؤولية. ذلك يقودنا إلى القول أن أمهاتهن –ثلثيهما لا يعملن لكنهن متعلمات نسبياً– لم تعد إنتاج نموذج الأم الموروث كلية[٢٤]. وتعاملت الشابات مع السلطة العائلية أو سلطة الزوج بشكل عملي ومرن لأن استثمارهن هو في عملهن وفي الحب. ربما باستطاعتنا القول إن جيل أمهاتهن لديه مشكلة مع السلطة الذكورية بسبب معاناته من الاعتراف به، بينما تتعامل الشابات براحة أكثر مع الأب والزوج وبمفهوم براغماتي، إذ يتمتعن بسلطة العلم والمهنة والمال ويتمتعن بالاعتراف بهن وبقدراتهن وقيمة عملهن. وفي المؤسسة المهنية لا نجد اختلافاً في رؤية السلطة وعيشها في حالتي العمل كموظفة في شركة أو في إدارة مؤسساتهن الخاصة. السلطة حق يمارسنها بشكل عملاني لا

(٢١) تقول «يكبرني بأربعين عاما وكان يسلمني التقرير الذي أعده ويطلب مني أن أضيف إليه ما أراه مناسبا. لا بل كان يعرفني إلى الزبائن كأنني زميلته وليس كأنني أعمل لديه».

(٢٢) يبدو أن عدد النساء في المؤسسات الحديثة الخاصة مرتفع في لبنان، بينما في وزارة الخارجية لا يتجاوز ٢٠٪. أما في دبي فانه يتفاوت من ٥٪ ليصل إلى ما يعادل النصف في شركة استثمارات حيث أنها مراقبة دوليا وتلتزم بحقوق الإنسان.

(٢٣) تقول «في البيت ليس لدينا مفهوم السلطة الديكتاتورية. البابا هو بابا لكني قريبة منه جدا ولا يوجد في بيتنا نظام الفرض.»

(٢٤) ونقصد بذلك دور الطاعة لسلطة الأب، ودورها المائع في قرارات العائلة.

يحمل موروثاً رافضاً لدلالاتها لأنهن زودنها بالدلالات المناسبة لها كتعبير عن المسؤولية والالتزام انطلاقاً من الثقة بالنفس.

نجاحهن المالي وتداعياته الثقافية والسلوكية

١- دلالات المال

يتناولن المال في حياتهن اليومية بشكل «عادي جداً وعملي وواضح»، لا يترددن في ولوجه ولا يتلعثمن في تناوله ولا حرج منه. ارتبطت دلالات المال برؤية شمولية تربطه بالمهنة وتحقيق الذات. لذلك هو «وسيلة لحياة أفضل» ويدل على «الاستقلالية والأمان» ولا يمثل هدفاً بحد ذاته. والدلالة الرئيسية تبقى الاستقلالية التي شددن عليها «يوفر لي متعة الصرف على نفسي وعدم حاجتي لأحد، استطيع أن آخذ قراراتي، أن أسافر حيث أريد، أستطيع أن أشتري ما أريد، كما أساعد غيري»، ويحسن المال المستوى المعيشي، ولا يمكن إنكار أن الوفرة تؤمن راحة البال وفرص أن تري العالم وان تعيشي حياة مريحة. وهو يخلق أيضاً الأمان الداخلي والاستقرار النفسي ويشكل مصدراً للحرية. وأثارت بعضهن خطورة تحويل المال إلى هدف، لأنه يؤثر سلباً على العائلة[٢٥]، أما اللواتي يعملن في مجال الاستثمار فيتعلمن بالتجربة إمكانية ذهاب المال بسرعة، لذلك هو ليس هدفاً بل وسيلة. ويمثل مكافأة لقاء الجهد المبذول في العمل والتعب. وهو مصدر قوة في بلد يفتقر إلى الاستقرار في العمل، فالمال معادل للاعتماد على الذات. كما يرتبط المال كقيمة بالجهد المبذول، وبما أنهن يبذلن جهوداً كبيرة فإن متطلباتهن من الأجر تقتضي الموازاة بينهما ويتوجها مفهوم الحق ويكللها مفهوم الرضا. جميعهن راضيات ماعدا رئيسة تحرير مجلة يملكها والدها لان أجرها لا يساوي جهدها، ويشعرن بالسعادة حين ينلن أجرهن لقاء عملهن[٢٦]. ربطن غالباً بين تحصيل المال ونوعية الحياة، لذا تمتنع بعضهن عن العمل في مكان لا يعني لهن.

(٢٥) تقول «إن المهووس لا يرى غير المال، فلا يتمتع بعمله، ويمكن أن يصبح غير أخلاقي حتى يصل إلى هذا الهدف»

(٢٦) تقول «ذلك يعني ان المشروع انتهى فأشعر بالسعادة لأنني قمت بخلق شيء-موقع الكتروني- والمال عندها جميل لأنه يعني أنني أنجزت العمل بطريقة جيدة». إنها تعمل لحسابها من بيتها.

٢- المال والسعادة

أجمعن على أن المال ليس مصدراً وحيداً للسعادة وإنما يمثل احد روافدها. انطلقن من الشكر والامتنان لما حققنه، دون أن يحد ذلك من سعيهن لتحصيل المزيد[٢٧]. وأكدن أن استخدام المال بالطريقة الصحيحة يؤدي إلى السعادة وأن غيابه يزيد التعاسة. ويرين فيه سعادة «مؤقتة» وآنية لأنهن تربين على الاكتفاء والرضى. فإذا كانت السعادة لحظات صغيرة فان المال في هذه الآنية يمتلك دوراً بسيطاً «فشة خلق».[٢٨] وإذا كانت السعادة ترتبط بالحبيب–الزوج والتواجد معه في مكان جميل فذلك لا يتحقق إلا عن طريق السفر والمال[٢٩]. أبرزن أن الرفاهية عامل إسعاد وتعويض عن تفرغهن الكامل للعمل والتعب في انجازه[٣٠]. وإذا لم يكن المال مصدراً وحيداً للسعادة يبقى «وسيلة انجاز طموحات حلوة، والذي يعتبر أن المال مصدر سعادة ويعيش في سعي دائم وراءه فانه لن يحققها»، يحل المال المشاكل الرئيسية في الحياة «بالمقابل هناك مليون مشكلة لا يحلها». وحين يستغرقن في انجاز مشروع لا يفكرن بالسعادة الذاتية بل بتحقيق المشروع، وأهم مصدر للسعادة عدم اللجوء إلى الدين[٣١] والكرم[٣٢].

٣- المال والسلطة

لا يشكل المال سلطة بحد ذاته بل أحد عواملها، فأبرز مقوماتها تكمن في الشخصية القوية[٣٣]، وهو مصدر قوة في حال الثروات الطائلة فقط. انتقدن الثقافة السائدة في المجتمع اللبناني التي تقيّم مالك المال بمعزل عن علمه وثقافته، من

(٢٧) تقول «دائما أقول الحمد لله الذي لدي يكفيني، أولادي مبسوطين، يدرسون في أفضل المدارس، لا ينقصنا شيئا، لا أريد أكثر. يعني إذا صار في أكثر لن أرفض».

(٢٨) شبهت إحداهن هذه العملية بشرب فنجان قهوة حين نشعر بالنعاس، نستفيق بفعله لمدة ساعتين ثم نعود إلى الشعور بالنعاس من جديد.

(٢٩) تقول «أهلي يتهمونني بأنني أحب المال! لا أنكر ذلك، لكن من منطلق انه يؤمن لي أسلوب حياة مريحة، ولا أعني بتاتا «الفخفخة» لكن أعيش بطريقة مريحة وأسافر بدون ضغط».

(٣٠) تقول «أريد السفر كما أشاء وأريد هذه الحقيبة التي تعجبني وهذه الساعة التي أرغب في اقتنائها».

(٣١) تقول «أهم شيء لدي ان لا يكون أحد يريد مني ليرة، لذلك لا أعمل بتمويل من البنوك».

(٣٢) تقول وصية جدتها لها «كوني كريمة، لا تجعلي المال يقف حائلا بينك وبين الناس فالمال يذهب ويأتي».

(٣٣) تؤكد قائلة «الكثير من الناس يملكون المال لكنهم لم يصلوا إلى مراكز السلطة في مواقع عديدة».

جهتهن يرفضن هذا المنظور ولا يتعاملن من موقعهن على أساسه، ولا يشعرن بتسلط صاحب المال عليهن، إذ ثقتهن بأنفسهن عالية[٣٤]. ليس المال إذا، رمزاً للقوة بل أداة للعيش، فالسلطة يستمددنها من مواقع القرار والتنفيذ في عملهن ومن شخصيتهن القيادية. لا يربطن بين المال والسلطة بل يربطن السلطة بالحق ويعتبرن ربط السلطة بالمال يدل على شرائها[٣٥]. ومع أن موقفهن من العمل نافياً للسلطة عبر المال فإنهن يعتبرن أن المرأة حين تصبح مستقلة مالياً ومتقدمة في عملها، فذلك يكسبها حرية وقوة للتقرير في حياتها الخاصة ويعطيها الضمان لسلامة قرارها ولعدم هدر حقوقها. لا يشكل المال سلطة للمتزوجات في علاقتهن الزوجية «لأنك تصبحين وكأنك تشترين العلاقة أكثر مما تبنينها».

٤- المال والعمل

جزمت غالبيتهن أن العمل هو الأهم، ولأسباب مختلفة، أولها الشعور بالرضى «أنا أعمل وأقبض هذا ما يشعرني بالرضى.» والسبب الثاني هو دقة العمل وصعوبته ومرئيته «المكافأة الكبيرة تأتي على قدر أتقاني عملي، خاصة أن تقاريرنا المالية التحليلية يقرأها العالم، الأهم أن لا ينتقد أحد عملي». ثالثا، السند المالي من الزوج ويسر أحواله «لو كان عمل زوجي ليس جيداً عندها يصبح المال هدفاً أكبر». رابعاً، أهمية «الخلق» «اشعر بالسعادة حين أحقق مشروعاً ويصبح المال ثانوياً». خامسا، عند تحقيق الطموح المهني تتراجع صدارة المال.[٣٦]

وذهب بعضهن إلى إقرار الترابط بينهما مع ترجيح كفة العمل[٣٧]، وظهرت

(٣٤) يتمتعن بكفاءات علمية ولديهن مواقع مهمة في المؤسسات ويحصلن على بدل مالي جيد جدا.

(٣٥) تقول «لم أفكر يوما ولم أطمح ان أمتلك المال كي أكون صاحبة قرار وصاحبة سلطة في العمل. لم يكن المال في حياتي مصدر للسلطة، على العكس تماما، فكل واحد يأتيني في العمل معتبرا انه يستطيع فرض شروطه علي لأنه يمتلك المال، لن يأخذ مني حقه. ولو كان طموحي إثبات نفسي عن طريق المال لكنت فشلت».

(٣٦) تقول «حين نلت ما أردته أي أن أصبح مديرة القسم في شركتي، سعدت لدرجة أنني لم أسأل إذا كان الراتب سيتغير، أحيانا نختار عملا ومنصبا لكسب الخبرة وليس المال فقط».

(٣٧) تقول «مهنتي مرتبطة بالمال مع أنني حين اخترتها لم أفكر بمردودها المالي مطلقا ولا بامتيازاتها. نحن كدبلوماسيين بدون مال يصعب عملنا، لأنه لدينا تمثيل مهم في الخارج نريد إتمامه. لكن لا أتصور ان المال كان مصدرا أساسيا لي، واكبر دليل على ذلك أنه بدل ان أعيش سنتين في بيروت بقيت خمس سنوات ونقبض هنا ١٪ مما نقبضه في الخارج! بالنسبة لي فليكن، إذ لدي أولويات أخرى» وتقصد عائلية.

تمايزات حتى في الموقف الترابطي نفسه، إذ ربطن أيضاً بين العمل والمتعة فالمال لا يمثل كل شيء في الحياة.[٣٨]

وأخيراً، يشكل الارتباط بينهما مصدر إعجاب الشباب بالبنات من اجل الزواج ، إذ يعجب الرجل بالمرأة العاملة والذكية والمستقلة مادياً. وساوت بينهما كلية صاحبة شركة وأكدت انتفاء إمكانية الفصل بينهما لان في تساويهما مقياس نجاح مؤسستها «لا يمكن أن تكوني ناجحة أنت وعم تخسري». وتؤشر المساواة بينهما على احترام المؤسسة للكفاءة المهنية للموظف «إذا كنت اعمل ولا أتقاضى معاشاً مساوياً لعملي، ذلك يعني أنهم لا يحترمونني ولا يحترمون عملي»[٣٩]، فالمسألة ليست فقط تحصيل المال من العمل بل الاعتراف بالجهد وبالتفاني فيه.

٥ –التخطيط المالي والادخار والاستثمار

تباينت مواقفهن من التخطيط المالي وذلك بمعزل عن العزوبة أو الزواج أو عامل السن[٤٠]. والأمر يعود كما تبينا إلى بنية الشخصية والى التثقيف البيتي الأسري والمدرسي. فالأكثر تخطيطاً هن أصحاب المؤسسات، لأن هناك تمازجاً بين هدفهن الذاتي وهدفهن المؤسسي، إذ يولين أهمية لتطوير مؤسساتهن فيتطورن ماليا مع تطور مؤسساتهن، والادخار عندها يثمر في الاستثمار في توسعة أعمال الشركة[٤١]. الأكثر تدبراً هن اللواتي تعلمن من المدرسة روح المبادرة وكسب المال وتوظيفه وادخاره بتشجيع من الأهل،[٤٢] كما أن المشاركة المبكرة في أعمال الأب ساهم في تنمية مواهبهن التنظيمية. أدركن أيضاً أن تنظيم أموالهن يؤدي إلى

(٣٨) تقول «أنت تعملين لتحصلين على المال فهما مترابطان، لكني لن أمارس عملا لا أحبه فقط من اجل كسب المال، افترض ان اشتغل شيئا أحبه كي أتقبل فكرة العمل ليلا نهارا. حرام ان تضيعي وقتك في شيء لا تحبينه. أحيانا تقومين بأشياء لا تكسبك الكثير من المال ولكنك تكوني مرتاحة ومبسوطة بانجازها. اعرف صديقة تركت عملها الجيد والآن تعمل في شيء بسيط جدا لكنها في غاية السعادة، انها وجدت نفسها ووجدت ما تحبه. ليس كل شيء المال. إذا كنت تحبين عملك ومردوده جيد لك فانه شيء عظيم لكن أحيانا لا يتحقق ذلك».

(٣٩) تنتقد أمها الأستاذة الجامعية في الجامعة اللبنانية التي تعمل كثيرا وتتقاضى قليلا.

(٤٠) ونقصد إذا ما كن في العشرينات أم في الثلاثينات.

(٤١) تقول «أحب أن اعرف الليرة خاصتي أين تذهب وان احسبها جيدا لأنني تعبت فيها ولا أحب أن أرميها».

(٤٢) اقترحت إحداهن في هذا الصدد ضرورة تدريس مادة التربية المالية في جميع المدارس كي يدرك الأولاد معنى المال وادخاره وبناء مستقبلهم.

شعورهن بالأمان ويحميهن من المفاجآت، وللاستمتاع بحياتهن مقابل الغربة، والتمتع بالأسفار[٤٣]. التخطيط هو أيضاً للمزيد من استثمار شبابهن والاستمتاع به «نحن لا نحرم أنفسنا، لأننا نتعب في العمل ولأنه ليس بإمكاننا الاستمرار في هذه الوتيرة إلا إذا رفهنا عن أنفسنا». يعبر التخطيط إذن عن حمل مسؤولية الذات والحفاظ على استقلاليتها ومن أجل بناء مشاريع عمل مستقبلية – إنشاء شركة خاصة وشراء بيت – ومن أجل السفر والشراء، ذلك بمعزل عمّن تسكن من العازبات عند أهلها أو وحدها في الخارج.

تتفق بعض المتزوجات مع أزواجهن على خطوط ميزانية الأسرة العريضة، ويتركن للزوج الحسابات اليومية[٤٤]، وفضل زوج أن يحمل مسؤولية تنظيم المصاريف والادخار لأن الزوجة تهتم بالحاضر فقط «أعيش كل يوم بيومه». ورفض بعضهن الاهتمام بمالية الأسرة وتنظيمها لان ذلك لا يشكل أولوية مع أنها تحمل هذه المسؤولية في عملها[٤٥]. وتشاركهن الرأي عازبة فلا تفكر بمستقبلها المالي بل بحاضرها «التخطيط الوحيد الذي أقوم به هو عندما يكون لدي مشروع في العمل».[٤٦] تتميز العازبة والمتزوجة اللتان تعملان في دبي باعتماد الادخار والتخطيط المالي، وتبحثان عن التوازن بين المدخول والمصروف.

يبدو لنا أن هؤلاء الشابات عموماً سواء خططن على المدى البعيد أو القريب تربين في وضع أمني غير مستقر جعل الحياة الاقتصادية غير مستقرة. ذلك حفزهن على البحث عن الاستقرار المالي والمتعة. لذلك وبشكل عام، هن غير مهووسات بالتنظيم بل يتركن اليوميات في حالة استرخاء. لم تعش بعضهن بسبب ظروف

(٤٣) تقول «أنا منظمة ماليا لأنني شخص محافظ، لا أحب المخاطرة العمياء تحسبا للأيام الصعبة. لكن في الوقت نفسه أحب أنا وزوجي الاستمتاع بحياتنا. أساهم في المدخرات الخاصة بالعائلة ككل. لست مهووسة بالتنظيم المالي، لكني احرص على ادخار مبلغ لتخطيط مستقبلي مع زوجي ومستقبل أولادنا الذين سنرزق بهم. نحن الآن نتعب ونعيش حياة صعبة قليلا لأنني أراه فقط في نهاية الأسبوع، ذلك لأننا نبني مستقبلنا ونخطط لحياة أكثر راحة لنا، أقله ان نعيش سويا في البلد نفسه».

(٤٤) تقول «بالنسبة لي اعرف ان كل شيء معي هو لي ولأسرتي وأصرف دون أن احسب. زوجي لديه منطق مختلف تماما والحمد لله. هذه هي المسؤولية الوحيدة التي لا اعرف حملها ولا أحبها».

(٤٥) تقول «لا اكترث بالغد، هدفي دائما أن أتطور وأطور عملي فلم أضع مرة واحدة في حياتي هدفا وقلت لنفسي سوف أحققه في فترة محددة. أعيش يومي بكل بساطة».

(٤٦) تقول «أحب أن أصرف، أن أعيش، لا أفكر، لا أدخر، هذا سبب أساسي يجعل زوجي «يجن»!! ليس لدي مشكلة أن أصرف كل ما معي وان أعطي الآخرين. لكن بالنهاية ستعيشين مرة واحدة».

الحرب في تنظيم فكل شيء رهن ساعته، هؤلاء يجدن صعوبة في الادخار إذ تعودن على المفاجآت التي تقلب التنظيم والذي ينجم عنه الإحباط المعنوي والمادي[٤٧]. أمهات اليوم غالباً ما يخططن لمستقبل أولادهن ويقلقن بشأنه، ذلك على عكس أمهات الشابات اللواتي تربين في الحرب[٤٨]. يعود التخطيط إلى التربية الأسرية والمدرسية وقيم التنظيم التي تؤكد عليها والدخول المبكر إلى عالم العمل الذي يعرف معنى المال ومعنى الادخار ودوافعه وتأمين الاستقرار النفسي والاستقلالية وتأمين المستقبل والإحساس بالمسؤولية تجاه الذات والعائلة وتنفيذ أحلامهن المهنية والزوجية. أما أسباب غياب التخطيط فهي تعود إلى التربية العائلية في ظروف الحرب وعدم الاستقرار وتهديد الحياة، ودوافعه الاستمتاع بالحاضر والعيش في إطار اللحظة.

فيما يخص الاستثمار، وجدنا مجموعة لا بأس بها من العينة تستثمر أموالها الفائضة بطرق متعددة، منها توسعة أعمال شركتهن وفتح فروع لها خارج لبنان، وابتكار مشاريع جديدة للمؤسسة نفسها أو إنشاء مؤسسة جديدة، وشراء بيت. أما اللواتي يعملن في قطاع الاستثمار المالي والتسويق، فإنهن حريصات على الاستثمار الآمن لأنهن يلامسن الخسارة والربح السريعين في عملهن.[٤٩] ومن عاداتهن استشارة المختصين والمطلعين من الأصدقاء.

(٤٧) تقول «لا أحب أن أعيش حياة منظمة بمعنى انتظر كل شيء بوقته. إذا انتظرت كل شيء في وقته، لا يأتي شيء بلذته. لا أحب أن انتظر، لكن ليس جميلا ان تكوني مخططة ومنتظرة لكل شيء. أولا عشنا في الحرب، كنا ننزل إلى الجامعة من الجبل تحت القصف من يعرف إذا كنا سنصل أم لا. وكنا ندرس على الشمعة ونقدم امتحان في اليوم التالي، لأن نصف التلاميذ ليس لديهم الحرب التي نعيشها نحن في منطقتنا. فلم يكن هناك شيء منطقي حتى أعيش بالمنطق. نحن جيل الحرب، لا يمكن ان نقول انه كان لدينا ترف التخطيط، كنت احسد كثيرا الناس في أوروبا حين أجدهم يخططون للعشر سنوات القادمة، فهذا دليل استقرار ودليل ان لديهم بلد يعرفون إلى أين سيصلون فيه. نحن لدينا حياتنا اليومية فيها لذة طبعا وفيها مفاجآت كثيرة. فإذا نظمتي كثيرا لا شيء يتحقق منه، بل تحبطي».

(٤٨) تقول «أهلنا لم يقلقوا علينا ولم يخططوا لحياتنا كما نخطط نحن اليوم لأولادنا، ولم يدخروا باسمنا. كنا نقول مع الأيام الله بيفرجها وهكذا حصل. أؤمن بأنه على الأولاد أن يعملوا ويحصلوا على المال ولا يتكلوا على الأهل كي يصرفون عليهم».

(٤٩) تقول «لدي استراتيجيه في الاستثمار أنا لا أستثمر غير المال الفائض عن المال الذي اعرف أنني غير مستعدة لخسارته. مجال الاستثمار خطر جدا حتى بعد الدراسة والتخطيط. فالأسواق المالية لا تبنى فقط على العقل بل على العاطفة أيضا وهي متصلة يبعضها البعض، فالمشاكل التي تحصل في مكان آخر تؤثر عليك.»

- الاستهلاك ومتعته:

لا تتناقض جديتهن في العمل مع متعتهن في الاهتمام بأنفسهن، فأنوثتهن واضحة في أناقتهن وفي اعتنائهن بمظهرهن. حين تناولت موضوع الشراء وحاولت معرفة نقاط ضعفهن حيال بعض مقتضيات الأناقة والى أي حد يستهلكن ويضبطن أنفسهن، أشرقت وجوههن وابتسمن كما لو إني تطرقت إلى موضوع أثير ومحبب ومصدر متعة. لمست التوافق والانسجام في الشخصية، فالأمور المهنية والمالية والاهتمام بالذات تنصهر ببعضها البعض. وتختصر الموقف أصغرهن سنا «ستضحكين الآن. أنا امرأة بالنهاية ولا أحب أن أنسى هذا الشيء مع أنه في العمل أحب أن أكون مثل الرجل، ولكن أحب أن أحافظ على أنوثتي كثيراً، فأنا أصرف كثيراً على ملابسي وحقائبي «والكريمات»، أحب أن أكون دائماً طالعة حلوة ومرتبة».

يلعب المزاج دوره القوي في الشراء صعوداً وهبوطاً[٥٠] «أحياناً نضبط أنفسنا، وأحياناً كلا، لكن لا مبالغة لأنه لدينا مسؤوليات». وتقر إحداهن بحبها للموضة «ولأني في المجال الاقتصادي، أجرب أن احرص على شراء الأشياء الحلوة وعلى الموضة، والباهظة الثمن، لكن بأسعار مخفضة». وتعترف واحدة أنها بحكم عملها في تسويق الماركات لا تشتري إلا الماركات المعروفة «انظر إلى شخصية هذه الماركة وقيمتها ولا أشتري التقليد بتاتا». وتستخدم أخرى تعابير الحب لتوصيف رغبتها في الصرف على ثيابها «أصرف بشغف وحب أي بجنون دون أن أتأفف، اتبع إحساسي وقلبي كثيرا». بعضهن اعتبر الأناقة عدة مهنية «الأناقة جزء من عملنا والصرف على الأناقة هو أيضاً استثمار في مركزك.» انه يفضي إلى ارتياح الزبائن «لا أحب أن أذهب إلى العمل بعقلية أنني ذاهبة فقط لأشتغل، أحب أن أكون مرتبة، خصوصاً عندما أذهب إلى اجتماع، كي يرتاح الذين يتعاملوا معي، فعندما يجدون أمامهم شخص مرتب تتغير نظرتهم». كما يفضي إلى الراحة النفسية الذاتية «لا استطيع الذهاب إلى العمل إلا إذا كنت طالعة حلوة لأن نفسيتي تتعب. أحس أنني أستطيع أن أعطي أكثر».

(٥٠) تقول « إذا كان مزاجك سعيدا تريدين عندها التعبير بالشراء، وإذا كنت متضايقة وتريدين شيئا تفرجين فيه عن نفسك تشترين أيضا، لكن علينا أن نضبط أنفسنا». وتؤكد على هذا الأمر شابة أخرى في قولها «لدي «فنعات» كثيرة أشتري شيئا لست بحاجة إليه لأنني اليوم في مزاج حلو وعلى بالي أو وقعت عقدا على مشروع فيبدأ الصرف أو أكون مضغوطة فيأتي على بالي الشراء».

ثم اعترفن بنقاط ضعفهن، الأحذية وحقائب اليد[٥١] ومن بعدها الثياب والماكياج، وبعضهن وسع نطاق الشراء دون تحديد «لست متعلقة بشيء، الحلو أشتريه»[٥٢]. وبعضهن على العكس تماماً عبرن عن الاتزان في الاستهلاك «أتعب عندما يبالغ أحدهم. لا يعود الإنسان لديه قيمة للأشياء».

هن في معمعة الاستهلاك الذي يطغى على عيشنا، لا يمكنهن الابتعاد عنه إنما التحكم به، إذ يعتبرنه مكافأة على جهودهن[٥٣] «أريد دخلا وأريد أن أبسط نفسي». الصفة الغالبة في الشراء هي المتعة الذاتية والتمتع بنتائج عملهن، إذ سرعان ما يستدركن ويلجمن الميل إلى الإسراف ويضعن حدودا له عن طريق الادخار وتامين بيت ومستقبل الأولاد والاستثمار في المهنة[٥٤]. هن مسؤولات عن أسرهن لذلك من أولويات المتزوجات الأولاد[٥٥] وهن على وفاق مع الأزواج حول الصرف.

٦- المال وحياتهن الخاصة

أردنا التعرف إلى أوجه العلاقة والروابط بين تحصيلهن المال وحياتهن الشخصية على مستوى علاقتهن بالأسرة والرجل، وعلى موقعهن في هذه العلاقات ودورهن. وتبين مدى تأثير النجاح المهني والمالي على موقعهن ودورهن.

لا تختلف قواعد اختيار الشريك عند المتزوجات والعازبات، ترى العازبات أن اختيار الشريك لا يتم على أساس ما يملكه من مال. حين يشح المال بين المتزوجين يتسبب بالمشاكل بينهما، لذلك اخترن التحصيل الكافي للمال كي يعشن في وئام. وان لم يملك المال الكافي فلن يتوقفن عند ذلك، لامتلاكهن له[٥٦]. إذا، شرط الزواج

(٥١) هذا الجيل معلق بحقيبته ومغروم بطرازها وجمالها ومماركتها غالبا، مع انه لا ينظر خلال عمله لمحتواها المالي، بل يطمئن الى وجودها الى جانبه واحتوائها ملذاته وخصوصياته، وكانها عنوان الأناقة المكثف.

(٥٢) تضيف قائلة «في لحظات أسير في الشارع لا انوي الشراء، لكني أعود بأكياس كثيرة، أقوم أحيانا ببعض الجنون وحتى امنع نفسي عنه لا اخرج بتاتا إلى السوق».

(٥٣) تقول «أنا دائما اكافيء نفسي بسفرة مثلا أو بشراء حقيبة يد جميلة فأسخو على نفسي لكن بوعي.»

(٥٤) توقفت احداهن عن السفر وشراء حقيبة شانيل لمدة عام من اجل تأثيث بيتها الذي اشترته.

(٥٥) أي تامين التعليم والسفر والأنشطة الرياضية والفنية والتثقيفية وشراء الكتب، الخ.

(٥٦) تقول «من الممكن ان يكون فنانا ولا يقدر ان يحصل المال ولكنه يعجبني وأحبه. المهم أن يكون مستقلا عن أهله».

الحب والإعجاب واستقلالية الرجل واخلاقه ونجاحه المهني وان يكون من مستواها الوظيفي أو أعلى.

أما بالنسبة إلى الدور المالي للمتزوجات في أسرهن، فتراوحت الأجوبة بين مشاركة عفوية دون تخطيط مع تبادل الشعور بالأمان، وتقاسم المهام. مصاريف البيت على الزوج وعليها الادخار لمدارس وجامعات الأولاد أو يتشاركان كاملاً وبتنظيم. الملفت للنظر أنهن في سعيهن المهني والمالي والزوجي انطلقن من قاعدة أخلاقية صلبة، فكانت معاييرها المرشد في مسارهن المهني والمالي وفي حياتهن الخاصة، وتتمثل ملامحها بتبنيهن مقاييس اختيار الشريك واختيار نوعية الأعمال ونوعية العلاقات. بنين زواجهن على أسس صلبة والعازبات لا تقل صلابتهن عنهن في اختيار الشريك وبناء الأسرة – غالبيتهن يردن الإنجاب – يضعن في الصدارة العناية بالأطفال والتفرغ لتربيتهن، حتى لو كان ذلك على حساب المهنة وتحصيل المال. إن شعورهن بهويتهن الجندرية قوي دون تصادم مع الرجل أو الأهل، بل يعتبرن أن المهنة وتحصيل المال عاملان يدعمان قوة المرأة في إثبات نفسها وحرية مواقفها واستقلاليتها واحترام الرجل لها كمنتجة واحترام حدودها «أنا قريبة جدا من زوجي ومتفقين جدا وفي الوقت نفسه لدي استقلاليتي في كل شيء بما فيها الرأي وحرية الاختلاف».

أما سمات علاقتهن بالعائلة فإنها اتخذت طابعاً عاطفياً مبنياً على الاحترام والاستشارة والثقة برأي الأهل، لكن استقلاليتهن المالية علمتهن الاتكال على أنفسهن في اتخاذ القرارات المهنية والمالية والزوجية، فلا تكتسب هويتهن طابعاً سكونياً. وتقوم دينامية التحول على الاستقلال المالي[٥٧] «بت أشعر أن محلي بالعائلة اكبر، صرنا مثل الأصحاب نتشارك أكثر». ان دينامية العلاقة العائلية تذهب بالاتجاهين وتتطور مع تطور وضع الشابات، فما لم يكن مقبولاً بالنسبة إلى الابنة البكر صار مقبولاً للوسطى أو الصغرى. يركز الأهل على زواج بناتهن بينما الشابات لا يعشن قلق أهلهن «هذا هو جيلهن في النهاية يبحثون عن الأمان ولا ألومهم». إذن غيّر الاستقلال المالي في نوعية العلاقات الأسرية، فيتشارك الشابات والأزواج مالياً،

(٥٧) «كنا أستشير أبي في كل شيء حين كنت تابعة له. الآن اخبر أهلي أني مسافرة أو قررت تغيير عملي. موقفي صار أقوى. والآن بعد ان تقاعد أبي صار يستشيرني لأنني في السوق ولدي معارف واتصالات». تقول.

ويستدرج ذلك المشاركة في جميع المسؤوليات والخطط الادخارية للأسرة وتسيير أعمالها. الأزواج سعداء بمواقع زوجاتهن المهنية ونجاحاتهن. كما أن النجاح المهني والمالي عزز قدراتهن العملية والتنظيمية وزاد من إقدامهن والمستفيد من ذلك إلى جانب الشابات عائلاتهن «لا اعتقد أن هناك أحدا في لبنان في عمري لديه مطاعم فتحها دون أن يرثها». أما بخصوص دورهن في المجتمع فان المنفعة متبادلة، طالت التغييرات المهمة منظورهن إلى أنفسهن والى مجتمعهن، حيث ان تجاربهن الميدانية علمتهن ضرورة التجرؤ على الاستقلال بكل مضامينه: النضج، تنمية الشخصية، أهمية المهنة والمنصب، الثقة بالنفس وبالقيم.(٥٨)

إن التعليم العالي والمال يساعدان على تقوية شخصية المرأة وعلى استقلالها «لا يجب أن تشعر أنها مجبورة أن تتزوج فقط لتموّل نفسها». يكرمن وظيفتهن ومهنتهن ويحترمنها، غير تقليديات في إدارتهن وغير متحيزات جندرياً، للمراتب والمناصب والمال. ان الصيغ الجديدة المرتبطة بتحديث دور النساء المهني والمالي تقحم علاقات اجتماعية جديدة مع تمسك بالقيم الأخلاقية ومحافظة على دفء العلاقات الأسرية والعائلية.

٧ – المال ومساعدة الآخر

أمام هذه التحولات العميقة التي تندرج فيها هذه النخبة من الشابات في مسار التحديث، فإنهن حافظن على خاصية يتميز بها اللبنانيون وهي أخلاقيات العناية بالآخرين، فلولا هذه الميزة لما صمدن خلال الحرب وما بعدها. ساعدن معنوياً ومادياً في تحسين نوعية حياة المحيطين بهن وبطرق مختلفة(٥٩)، لا مجال لذكرها هنا(٦٠). وتبين أن حجم تأثير هذا المنحى كبير على شخصياتهن فهو شعور

(٥٨) أما نظرة المجتمع إلى ذلك لا تكون دائما صائبة إذ تقول «للأسف أسمع لغاية اليوم ناس يقولون لي لما لم تتزوجي ولماذا تفعلين هكذا بنفسك؟ هم لا يدركون ماذا أفعل. لا يسألوني ماذا أعمل ويعتبرون أنني أضيع وقتي في الخليج. لا ألومهم لكني أحب تشجيع البنات ان لا تخشين الغربة لأن البنت التي لديها مبادئ وتربية جيدة في بيت عائلتها لا خوف عليها. وكل قرار تأخذينه بعد تكوين الخبرة والاستقلالية يكون صائبا.»

(٥٩) تضيف «كنت أذهب إلى مناطق فقيرة وأساعد المحتاجين، ويشعر الإنسان بالرضى حين يعطي محتاجا شهادة أو ماكينة ليعمل عليها».

(٦٠) تقول «كنت كلما مررت بجانب المستشفى أقول لا أستطيع الدخول اليه قويت قلبي ونزلت. تكلمت مع المسؤولة وعبرت لها عن رغبتي في التطوع وأنني شاطرة باللغة الفرنسية يمكنني تعليم الأولاد.

بالوجود النافع للغير والمفيد، ومصدر سعادة متبادلة مع الآخر، ومصدر راحة نفسية لأن المساعدة مهما صغر حجمها تشكل ضرورة عند المحتاج، فالعطاء من طبائعهن. يعود هذا الاندفاع في مساعدة الغير إلى التربية الأسرية والتربية المدرسية التي تحث الطلاب على خدمة المجتمع، وبفعل الأمومة أيضاً «عندما أصبح لدي أولاد كل شي تغير فيّ». وأردنا التوقف عند الجانب الإنساني من سلوكهن لتبين أساس هويتهن وقوامها الصامت، فالآخر هو المرآة التي تستشعر فيها الذات الفردية نفسها وهويتها شعوراً واعياً. تبين لنا أن نجاحهن المهني والمالي مبني على قواعد أخلاقية رصينة لا يحدن عن أخلاق العناية ولا يسترسلن في نرجسيتهن. فرافق حداثتهن تبنياً للجانب المشرق من ثقافتهن المحلية وتميزن بالوضوح الفكري وعدم الخلط بين المستويات المهنية والأخلاقية، بل جسدن توازنهما.

نتائج الدراسة ونقاشها

١- انه جيل جديد لديه إدراك خاص لحياته ولدوره ولإنتاجه، نابع من بيئته الثقافية الاجتماعية الاقتصادية ومن وضعيات وميول خاصة. جيل الشابات لا يعيش الخوف والتردد من هويته الأنثوية[٦١]، قادر بدعم كبير من أهله على إثبات ميوله وقدراته. إدراك نابع من عوامل عديدة، أهمها التغيرات الاجتماعية الاقتصادية التي واجهها المجتمع اللبناني اثر الحروب والنزاعات السياسية، والتي تجسدت بأزمة اقتصادية خانقة مما دفع الشباب إلى الهجرة بعد هجرة العائلات، وحديثاً وفي

صرت أرتاد المستشفى يوميا وأصرف بين ساعتين وثلاثة لأعلمهم الفرنسية. إنها تجربة قاسية أحيانا تشعرين انك غير سعيدة بحياتك مع انه لديك كل شيء وصحتك جيدة وأولادك بخير، فما الذي ينقصني؟ حين ذهبت إلى هناك أحسست إني جبارة فقلت لنفسي كيف أتذمر وأنا أعيش هذه النعم؟ هذا ساعدني كثيرا كما ساعدت الأولاد وتعلقت بهم.»

(٦١) عدنا في هذا الاطار الى دراسة الزميلة عزة شرارة بيضون، الرجولة وتغير احوال النساء، المركز الثقافي العربي، بيروت ٢٠٠٧ ، ووجدنا ان افتراضها من ان «الرجال الملزمين بالأدوار النمطية التي رسمها لهم المجتمع، هم أكثر ميلا لتبني موقف تقليدي من أدوار النساء ومن قضاياهن من أولئك الذين تجاوزوا هذه المنمطات. وافترضنا أيضا، انه كلما تماهى هؤلاء بأدوار الرجال النمطية، واستبعدوا «الأنوثة» من صورتهم لذواتهم، ازداد احتمال البحث عن شريكة لهم أشبه بالمرأة التقليدية، والعكس بالعكس» فوجدنا في عينتنا التي لا يمكن التعميم من خلالها فللدراسة حدود واضحة، ان هذا الافتراض يصح الى حد كبير على آباء وازواج وأصدقاء وزملاء العمل لهؤلاء الشابات. وهذه سمة من سمات التغيير في المجتمع اللبناني التي تطال النخبة المتعلمة والمثقفة والتي تنتمي الى الطبقة الوسطى بمختلف تدرجاتها.

الألفية الثانية بدأت هجرة الشابات، فازداد الطلب على عمل النساء في عالم غير مستقر عموماً. أتت التغيرات على شكل تجارب معيشة وليس على شكل تشريعات وقوانين تحبذ عمل النساء وتشجعه أو تضع استراتيجيات تحقيقه. بل إن الأزمات الأمنية والاقتصادية أفضت إليه، إضافة إلى تشجيع أسرهن على التعليم والعمل.

٢ – تنتمي الشابات إلى عائلات متعلمة وأمهاتهن متعلمات وبعضهن عاملات ومحبذات لتعليم الإناث ومجتهدات لتحقيقه. أمهات كونّ أسراً غير تمييزية، فحققت التوازن الجندري في تربية البنات. تنتمي الشابات إذن إلى اسر حديثة، وتعملن في مؤسسات حديثة لها علاقة بالعولمة الاقتصادية والتكنولوجية. وهن لا يحملن موروثاً تمييزياً بحقهن على كاهلهن على مستوى التعليم والعمل والسفر، بل منخرطات في التقاطعات بين القوى الاجتماعية والاقتصادية في إطار العولمة، لديهن فرص لم تتح لجيل النساء السابق عليهن «هذا جيل متطور عنا، جيل محظوظ، فالثورة في مجال المعلوماتية والاتصال لم تكن متاحة لنا. انه جيل قوي ولديه العدة»[٦٢].

هكذا كان دخولهن في الحركة الاقتصادية دون احتجاج بل بشكل ناعم وتدريجي– يركز الانتباه على عدم انخراطهن السياسي ومقاومة هذا الميدان لوجودهن[٦٣]– ويبدو ان الشركات والأعمال الخاصة في لبنان والبلدان الخليجية تفتح أبوابها لهن لينخرطن في خدمتها أو لإنشاء شركاتهن الخاصة، فيتموضعن في الحركة الاقتصادية. لكن دخولهن إليها ولغاية اليوم لم يقلب بعد أبوية الأعمال. المؤسسات التي يعملن في إطارها أو تلك التي أنشأنها لحسابهن الخاص هي مؤسسات حديثة[٦٤] لا تملك ميراثاً تمييزياً بحق النساء. لذلك لا يضعنها موضع

(٦٢) خبيرة في الاستثمار في دبي ولبنان تنتمي إلى عينة الأكبر سنا وسنها ٤٧ سنة. إن أقوالها تظهر تسارع وتيرة التغيير بالنسبة إلى عينتنا.

(٦٣) Maniere de voir. p.35.

هذا ما يحدث أيضا في بلدان أخرى مثل فرنسا.

(٦٤) تنبه صاحبة شركة سلسلة مقاهٍ وسندويشات لها فروع في العالم تتجاوز ٢٥٠ فرعا، إلى افتقار لبنان إلى مؤسسات حديثة إضافية، كي تدخل الشابات في إطارها فتتغير عقليتهن ويتعلمن ممارسة المهنة وفق قواعد مؤسساتية، «فالمؤسسات ضرورة للتدرب والترقي والتطور وهذا ما نفتقده في لبنان». وتشير من ناحية ثانية إلى ان التربية في البيت تعطي القيم والنظر إلى الحياة من زاوية معينة، لكن المؤسسة يعول على النساء دخولها كي يتطورن في الأعمال ويتدربن على الإتقان والانفتاح والعمل الجماعي.

التساؤل بل جلّ همهن النجاح في الانخراط فيها وتطوير أعمالها وتطوير قدراتهن فيها، وجعل حياتهن وحياة أسرهن أفضل، وتحقيق كفاءاتهن وإبرازها دون استبطان تصورات ومواقف تمييزية بحقهن فثقتهن بأنفسهن عالية. لا نرى تفاوضاً بين منحيين تقليدي وحديث، ولا يواجهن تفاوضاً كجيل جديد، لمعنى ذواتهن أي هويتهن في هذه الظروف المستجدة. انه جيل متوازن غير منخرط بالحداثة بشكل أعمى، تسلح بالعلم والمهنة والوعي الثقافي الذي جعله إلى حد كبير يتقن التوازن، لكنه توازن من نوع جديد: عمل ومال وتكوين أسرة، وعلى ذلك يصعب تصنيفهن محافظات أو متحررات ليبراليات! فإدراكهن ومنطلقاتهن هجينة. المؤسسات الجديدة في تربيتها المميزة للبنات، وإعطائهن حريات اجتماعية في بيوتهن قبل مغادرتها للعمل وللزواج جعلهن بمنأى عن التناقضات التي تميز بها جيل أمهاتهن أو الجيل الذي سبقهن في الأعمال. ابتكرن هوية متوازنة، لا يشكين من القلقلة وعدم توقع مستقبلهن فهن مستعدات لصروف الدهر لأن تطلعاتهن غير مقموعة إلى حد كبير. استدخلن حقوق النساء والديمقراطية في التعامل معهن، فعدم التمييز الجندري ينظرن إليه كحق مكتسب وليس للتفاوض. تعرف الزوج إليهن وهن محققات أنفسهن علمياً ومنخرطات في المهنة وتحصيل المال و مستقلات اقتصادياً. إذن الأسرة والجامعة والمدرسة الخاصة والسفر للعلم والعمل والتثقف، عوامل جعلتهن في منأى عن الصراع حول الهوية الأنثوية والعيش في موضع قلق بين الحداثة والتقليد. فمع انفتاحهن على الحركة الاقتصادية العربية والعالمية ومع عدم الثبات والقوة الاقتصادية في لبنان فان علمهن وعملهن والثقة بالنفس والقيم المهنية التي حصلنها والإطار الأسري الذي وازن في تربيتهن، كان ذلك بمثابة الضمانة لهن كي يخضن مغامرات العمل والأسواق. غيرت المؤسسات الحديثة والممارسات حياتهن بشكل بيّن، ولم يكن التغير صدامياً بل أتى متسلسلاً دون صدمات. يمثلن شعلة نخبوية سوف تفتح الباب إلى المزيد من نمطهن.

٣- لم تسر على خطى الأمان المالي للأهل ولم تعتبره نموذجاً للاحتذاء، بل رحن صوب تطلعات أخرى، فتجاوزنه نحو آفاق أكثر انفتاحاً على طموحاتهن.[٦٥] ذلك لان طموحهن يتقدم على طموحات أهلهن، ولأنهن عشن في عدم استقرار مالي

(٦٥) هذه النتيجة أتت معاكسة لما وجدته يماني في دراستها الميدانية حول الشباب السعودي من حيث كونه معجب بالأمان المالي لأسرهن، ص. ٥٠.

وامني خلال الحرب الأهلية وما بعدها. لذلك رحن نحو الامتهان الرفيع والمتقدم والحديث لتأمين استقرارهن المالي. فكان التعليم المميز والمهنة الحديثة هما مفتاحا تأمين الاستقرار المالي. دفع الأهل بناتهن الى الاستفادة القصوى من التعليم والتدريب المهني، ومن المعروف ان التعليم يؤدي إلى وجهات نظر مختلفة ربما تكون مقلقة للأهل، لكننا نجد ان المؤسسة العائلية تبقى مفتاح المرجعية الأخلاقية. اعترفت الشابات بدور الأهل الأساسي والأولي في تكوين شخصياتهن وبلورة طموحاتهن. لكن الأسرة على أهمية دورها لم تبقَ المصدر الأساسي لتحديد تخصصاتهن وميادين عملهن. والفجوة بين الأهل وأولادهن ليست على مستوى القيم إنما هي على مستوى التكنولوجيا وتطورها والتخصص بها والاستثمار المالي. الشابات واعيات لمتطلبات أسواق العمل ويعملن على التوافق معها دون إلغاء رغباتهن وتطلعاتهن. تتقاطع رغبات الأهل وتطلعاتهم مع رغبات بناتهم ويتشاركون في الحراك الاجتماعي الذي يؤمن الاستقرار. ونرى ان الهرمية في الأسرة قد تغيرت ان كان على مستوى دور الأمهات والآباء، أو على مستوى الخيارات وبسبب التغيرات الاقتصادية والتكنولوجية وفرص البنات للاطلاع على مستجدات العولمة أكثر من الأهل. نرى أنهن تجاوزن التعلم للترقي الاجتماعي وذهبن ابعد إلى الترقي المالي، فالدخول في المنافسة المعرفية هو من اجل الدخول في المنافسة المالية. إذن التربية والمهنة رفعا من وضعية النخبة التي تجاوزت المتعارف عليه سابقاً من ان النخبة تتشكل من إطار اسري متمكن علمياً واقتصادياً واجتماعياً عبر الوراثة والممتلكات.

٤- بينت المقابلات ان أشكالاً جديدة من التفكير تتعلق بالجندر ودور النساء في لبنان تظهر بين الشابات وأقرانهن وزملائهن من الرجال. فالمتوقع والممارس نابع من الفكرة نفسها وهي حق النساء في العلم والعمل وتحصيل المال وعلى الكفاءة والسوية نفسها. نادراً ما تبين لهن تمييزاً بحقهن في التعليم والعمل أو في الأسرة حتى مع ان بعض أمهاتهن ربات منزل إلا أن هؤلاء دفعن ببناتهن ليكن مختلفات عنهن. فلا المهن التي اخترنها ولا الأعمال التي خضن فيها كانت محدودة بجنسهن كأشغال ملائمة للنساء تقليدياً. هن واقعيات في خياراتهن وذلك يشير إلى ان الواقع هو على هذه الصورة. أي انه لا مجتمع بطركي يحد من طاقات الشابات ولا ذكور يناهضون حقوقهن في العمل وجني المال عموما. والسبب برأينا يعود إلى التغيرات الاقتصادية محلياً وعالمياً التي أتاحت فرص الخوض في تخصصات حديثة

والعمل في مؤسسات حديثة. في هذا المناخ المتغير لا بد أن هناك حدوداً جندرية جديدة سوف تتولد. لا يوجد تنافر بين تعلمهن وتربيتهن وعملهن أي بين ما يردنه والمتوقع منهن. فالتحسن المالي الملحوظ للشابات هو مصدر اطمئنان للأهل أو للزوج ومصدر مهم لتقوية مالية الأسرة وتأمين استقرارها ورفاهيتها. حيث نلحظ الاهتمام العام بنوعية الحياة والتي لم يعد بإمكان الرجال وحدهم تامينها، فالمطلوب التشارك المالي لتحقيقها. هكذا بدأن من مكان مستقر لا يحمل قلقاً على هويتهن ودورهن الاجتماعي والأسري ولا يفاوضن عليه.عامل آخر ساعد في ذلك هو ضعف الدولة وضعف جهازها ووضعها الاقتصادي ذلك ابعد الشابات عن العمل في إطارها الذي يحد من الطموحات ويدني سقف الاستقلال المالي عن الأهل أو الزوج. النساء هجرن الدولة واعتمدن على أنفسهن وبدفع من أهلهن. لذلك فان دينامية العلاقة بين الشابات والشباب اتخذت أشكالاً جديدة، وتغيرت السلوكات فنحن لا نجد في عينة الشابات الناجحات، امرأة تعمل في لبنان وزوجها يعمل خارجه–كما كان الحال سابقاً، بل نجد زوجين يعملان في بلدين خليجيين مختلفين ويلتقيان في نهاية الأسبوع. لقد غيرت الشابة في وسائل تحقيق دورها في البيت كأم مسؤولة عن الأولاد أو كزوجة يحتم عليها دورها التقليدي إدارة البيت والزوج. فأبقت على هذا المقياس إلا أنها ابتدعت وسائل تعويضية لانجازه.

٥– جميعهن تعلمن بهدف اكتساب مهارات وتحصيل مهنة محترمة تمكنهن من الاستقلال المالي. حتى اللواتي عملن لفترة في مؤسسة العائلة التجارية فإنهن سرعان ما حققن انفصالهن وأسسن أعمالهن الخاصة. وتبنين مفهوم الخيار الذاتي بعد تعرضهن الثقافي لعوالم مختلفة وقيم ثقافية مختلفة عبر الدراسة في مدارس وجامعات أجنبية، حيث تسلحن بأدوات تحليلية وأسس فكرية نقدية تمكنهن من تحقيق ما يصبون إليه. تغيرت إذا، المعيارية الثقافية والاجتماعية اثر التحولات المحلية والعالمية التي تحدثنا عنها سابقاً، فلم تعانِ هذه النخبة من إجبارها على تأطير تطلعاتها وخياراتها في إطار معايير مربكة لا تتماشى مع تحصيلهن العلمي والثقافي، بل اتسمت بالمرونة ورسمت توقعات وانتظارات منهن جديدة، ورفعت مستوى متطلباتها العلمية والمهنية والمالية منهن.

٦– أرست العولمة سلطة المال، لكن دلالات المال عديدة حسب علماء النفس أهمها الإحساس بالأمن، الشعور بالقوة، الحب، الإحساس بالحرية. كثيراً ما يكون

الإحساس بالأمن النفسي الانفعالي نتيجة للشعور بالأمن المادي الاقتصادي، إذ يمثل المال رمزاً للوقاية والحماية من تقلبات الزمن ومعادلاً للأمن والإحساس بالثقة والكفاءة وان «قوة المال لا بد ان تستند إلى ركيزة تكمن في صميم بناء الشخصية وتدفع بالفرد في كل لحظة إلى إعادة تنظيم توازنه النفسي بحيث لا يدع لقوة المال أن تسيطر على سلوكياته وأفعاله».[٦٦] لكن هذه النخبة من الشابات أدركت ان المال قوة ليس بمعنى التسلط على الآخرين لإخضاعهم، وإنما بمعنى التمكين الذاتي وتمكين أسرهن وعائلاتهن والمحيطين بهن. وأدركن أنهن على قدر هذه القوة وبإمكانهن تحقيقها بإمكانياتهن العلمية وقدراتهن الشخصية وبمؤازرة أهلهن وصداقاتهن. إنها دينامية اجتماعية متواصلة دون انقطاع تعمل على تبديل الدلالات وتكييف المعايير ومراجعة بعضها. أعطاهن المال حرية تنظيم حياتهن المهنية والاجتماعية وجملة علاقاتهن، لكنهن لم يستخدمنه كإرادة مطلقة، إنما خفف وطأة الضغوط والقيود التي تمارس عليهن في العمل والمنزل أو في العلاقات مع الآخرين، وأعطاهن الدافعية والتصميم. فالمال يمثل قوة دافعية كبيرة لارتباطه بالعديد من الوسائل والأدوات والخدمات والبضائع وقدرته على احتوائها وشرائها. فالمال قد يكون وسيلة لإرضاء عدد من الدوافع الفطرية والمكتسبة معا.[٦٧]

٧- إن العوامل الثقافية والدلالات الرمزية تؤدي دوراً كبيراً في تحديد الاتجاهات النفسية نحو المال، ودور المال في التعبير عن القيمة وكذلك أساليب الأفراد في التعامل معه. ليس المال مجرد أداة اقتصادية لشراء السلع، أو معياراً للقيم المادية بقدر ما هو أيضاً قيمة انفعالية نفسية واجتماعية. وعلى هذا الأساس فانه يزيد من فعالية الذات في مجال إنتاج الدوال وتوجيه المدلولات. هكذا وجدن نزعتهن إلى العمل الإنساني فلم يبعدهن المال عن الإحساس بالآخر وببؤسه بل على العكس تماما، جعلن المال يقرب المسافات بينهن وبين المحتاجين مادياً ومعنوياً وقربهن إلى المساهمة في إزالة بعض آثاره. حكم سلوكهن المالي هنا العادات والتقاليد والمعايير الاجتماعية التي تعلي من شان التآزر الاجتماعي والتعاضد المالي وفق صيغ تقليدية مثل الزكاة أو حديثة مثل التبرع بنسبة معينة من الأرباح لصالح جمعيات.

٨- شكل انحيازهن إلى استقلاليتهن المالية منحى عقلانياً يتصدى لتخلف

(٦٦) سيكولوجية المال ص. ٥٧.

(٦٧) المرجع نفسه، ص. ٤٩.

القوانين الوضعية العائلية والزوجية في لبنان، وهو دليل نضج وخبرة كسبنها من مصادر متعددة كما أسلفنا الذكر. إن كسب المال بالجهد والتعب والحق صنع منهن شخصيات متزنة نفسياً تؤمن أن الأولوية تعود إلى الاجتهاد والمثابرة والمسؤولية وحرية القرار والوعي الخلاق لما يدور في العالم والتقاط المستجدات، ثم العودة إلى الذات كي تقرن كفاءتها وجهدها بتحقيق سعادتها الداخلية وسعادتها باللقاء مع الشريك. صنعن المال وجعلنه حرزاً للوقاية من صروف الدهر ولتسهيل متطلبات العيش والزواج. فلم يتحول المال إلى معادل للبضائع، بل شكل رمزاً لبناء منصة انطلاق نحو تحقيق طموحاتهن المهنية والمؤسساتية والإنسانية. وهي بمجملها تدور في فلك البحث عن السعادة والمتعة. وتبين أن شعورهن بالسعادة لا يدور في محور بعينه حتى لو كان المال. بل إن السعادة حاصل جمع الأحداث الحياتية الايجابية في الأسرة والزواج والأبناء والأصدقاء وشتى العلاقات الاجتماعية وفي الصحة والتعليم والعمل ووسائل الراحة والرفاهية وكذلك في الشعور بالاستقلالية وتحقيق الذات. والحق إنهن عملن على تنمية الجوانب الايجابية مثل الإحساس بالرضى العام وتحقيق الذات واتخاذ القرارات الملائمة والشعور بالأمن النفسي والتفاؤل والتوافق الزوجي. يحقق المال قدراً من السعادة[٦٨] لكنه لا يمثل السعادة المطلقة لأنهن ينشدن الحب والانجاز والثقافة والحرية والنجاح. أما الملاحظة الثانية فهي علاقة السعادة بالمال والتعليم[٦٩]. إن خبرة التعليم ومزايا الوظيفة لدى خريجي الجامعة تحررهم نسبياً من المطالب والحاجات المادية، وتجعلهم يركزون أكثر اهتماماتهم نحو العلاقات الاجتماعية وقيمة الذات. فكلما كان الأجر مرتفعا كان الفرد أكثر شعوراً بالرضى عن العمل وأكثر تقديراً للذات وأكثر شعوراً بالسعادة.

٩- إن تفضيل الأهل أولادهم على أنفسهم انتج هذه النماذج من الشابات الناجحات، لذلك نرى ان دور الأخلاق كبير في نجاحهن. فحين يكون الأهل إلى جانب أولادهم ودافعين لهم للتقدم والخوض في الحياة من مختلف جوانبها العلمية والمهنية

(٦٨) المرجع نفسه، ص. ١٨٩.
«تبين دراسة ان ارتفاع الدخل يرتبط بالمشاعر الايجابية وان المال قد تكون له القدرة في بعض الأحيان على تخفيف حدة بعض المشاعر السلبية مثل الخوف والقلق والتوتر واليأس والعناء. كذلك يمكن للمال ان يؤدي إلى ارتفاع الشعور بالسعادة بفضل ما يوفره من إمكانيات للإنفاق على وسائل التسلية والترفيه والراحة.»

(٦٩) المرجع نفسه، ص. ص. ١٩١-١٩٣.

والمالية، فان الأولاد ينسجون قيمهم على منوال الأهل، لان هذه القيم حاضرة في حياتهم ومحملة بمشاعر ومشحونة بالانفعالات التي تسهل نقل المعايير. ويبدو أن التغيير بوتيرة سريعة يطال القيم المحملة بالمشاعر، إذ يبدو ان الأهل يعولون حالياً على المساواة الجندرية بين أبنائهم وبناتهم، بالطبع عند هؤلاء الأهل الذين اعتمدوا على قيم الجدارة والمسؤولية في تحصيل المال ولا ينتمون إلى فئة الأغنياء الجدد. فنرى أن الأهل يحبذون نجاح بناتهم المهني والمالي كما يحبذون زواجهن.

١٠- إن التحولات المشار إليها تفيد أن مستقبلهن مفتوح على مزيد من التطورات والطموحات المستجدة، فمنهن من تخطط لمشاريع تحبها مثل فتح مدارس طبخ وآداب المائدة وإنتاج أفلام حول الطبخ «لا شيء مستحيل ولا شيء ينتهي عندي». وواحدة تريد تطوير شركتها وتكبيرها وزيادة رأس مالها، أو التوسع خارج لبنان. وواحدة تراجع تجربتها ولا تدري ان كانت ستبقى في المجال نفسه،الخ. الباب مفتوح على التغيرات بسبب التطور المعرفي والتمكين الذاتي الذي يتم خلال تجربة العمل والذي بدوره يفتح آفاقاً جديدة(٧٠). إن فتح الأطر يتم عبر الاتصال والوصول إلى المعلومات التي تدفع حدود العالم المتخيل للشابات ويتدخل في إعادة تشكيل التمثلات التي يصنعنها عن أنفسهن وعن مجتمعهن وأعمالهن، وكذلك في توليد الانتظار والقيم الجديدة. لاحظنا أن أكثرهن طموحاً اكثرهن ادخاراً واستثماراً.

١١- إن نظام القيم الموروثة يتعرض للتحولات في لبنان وهو ما زال بعيداً عن التشكل النهائي، بل هو في مرحلة التوتر والتراوح والتجديد في الوقت نفسه حيث أن الانتماءات المتعددة حاضرة: الهوية الاجتماعية والتفاوض على الفردانية. فالشابات يردن المشاركة في مجتمع استهلاكي ويقيمن الجديد ويبحثن عن الانطلاق الفردي وعيش حياتهن. ومع ان مفهوم المال يعود إلى الاقتصاد والمالية لكنه على صلة أيضاً بعلم النفس والثقافة. المال هو أهم عنصر من عناصر النظام الاجتماعي الذي يفرض أهمية التنظيم الجماعي حول الحقوق وهوامات الفرد. المال ليس إلا حجاباً يجب رفعه كي نجد وقائع الغنى والفقر وإشكالية توزيع الثروات

(٧٠) تقول «على الإنسان ان يعمل على نفسه كل حياته، عليه التجريب واكتشاف الذات، إذ من الممكن ان تصلي إلى عمر الأربعين أو الخمسين وأنت لا تعرفين نفسك بشكل جيد ان لم تواظبي على التعرف إليها والى قدراتك. أنا أعمل كثيرا على نفسي، ليس لأثبت نفسي في المجتمع إنما لأمر شخصي بيني وبين نفسي».

والمدخول وديالكتيك الحاجات والرغبات والاحباطات، وعدم التساوي بين الجهد والمال وتأثيرات السيطرة التي تبني الذهنيات والمجتمعات ومصادرتها من قبل الأقوياء وتهميش الضعفاء.

١٢- هن على صورة دولتهن حدودها مفتوحة وفضاؤها مفتوح أي قابلة للجديد ومستوعبة في الوقت عينه لكل الموروث، فالجماعة تهيمن على الأفراد والأفراد ينفرون أحياناً ويستوطنون أجنحتها مرة أخرى. لذلك فان الفردانية متضخمة في غياب مؤسسات فاعلة تدرب على التوازن بين الفرد والجماعة، هذا الوسيط نفتقده في لبنان. يعود نجاحهن إلى فرديتهن ومثابرتهن ولا يعود إلى التدرج في المؤسسات، لذلك فان عملهن النقابي الجديد - تأسيس جمعية تهتم بصاحبات المشاريع المستقلة- يعد عنصراً مهماً في تمكينهن من النجاح. ولأن موضوعنا ركز على نجاحاتهن فان ذلك لا يعني ان العاملات في لبنان هن على أفضل حال وان الطريق مفتوح لهن للعمل[٧١]، ولا يوجد تمييز جندري بحقهن في المؤسسات. لكن يبقى أن المجهود الفردي هو محرك التغيير الاجتماعي. يبدو لنا أنهن اخترن المهن الحرة وإنشاء مؤسساتهن الخاصة وطموح بعضهن لتحقيق ذلك، يكمن وراءه أسباب عدة أهمها التمييز الجندري في المؤسسات الخاصة والعامة وتمركز الذكور في المواقع العليا وحصولهم على الرواتب العليا. وهذا يرتبط بتحقيق شروط المواطنة وتحويل الفرد إلى مواطن.[٧٢] اثبتن معادلة جديدة في إطار الظروف المحيطة بهن تتمثل في أن العدالة تتحقق أي الحصول على الوظيفة والمال المناسب لقدراتهن وجدارتهن العلمية والاتصالية والخلقية عن طريق الانتماء إلى أسرة تقدم الحب والاهتمام لبناتها ولا تميز بالتربية بينهن وبين الذكور. وان ارتباط الشابات بأهلهن لم يحل دون استقلاليتهن في الرأي والانفصال عن نفوذهم. ربما علينا تغيير منظورنا إلى فكرة التعلق بالأهل كمرادف لعدم المساواة وان الانفصال هو باب لقوة النساء وحضورهن واستقلالهن[٧٣]. إنها نظرة تبسيطية تجعل التطوير مرادفاً للاستقلال والتعلق عقبة في وجهه. بينما عرفت الشابات عن أنفسهن عبر ربحهن بعداً مهماً وهو الاتصال الغني بأسرهن إضافة إلى تجربة الارتباط والالتزام بالآخرين.

(٧١) انظر دراسة صيداني وآخرين عن المعوقات...
(٧٢) زيدان ص. ٢٨٤.
(٧٣) Zinardi, pp. 483-490.

ملحق

لائحة بموضوعات المقابلة:
تجربة النجاح المهني والمالي للشابات اللبنانيات

تمحورت المقابلة النصف موجهة حول ثلاثة مفاصل:

١- بروفيل شخصي:

- الاسم والسن والمنطقة
- الدرجات العلمية والمؤسسات التعليمية التي درست فيها
- مكان الإقامة: في الوطن وخارجه
- مهنة الوالد وشهاداته وعمله
- مهنة الوالدة وشهاداتها وعملها
- ما هو دور الأسرة في إطلاق طاقاتها العلمية والمهنية؟ كيف؟
- من هو الزوج وما دوره في انطلاقتها المهنية؟

٢- المهنة والعمل:

- التخصص
- كيف اختارت هذا التخصص ولماذا؟
- المهنة
- كيف اختارت هذه المهنة؟ ما هي الدوافع ؟
- ما هو دور المؤسسات التعليمية في كفاءاتها الشخصية والمهنية وفي ايجاد فرص العمل؟
- على المستوى المدرسي
- على المستوى الجامعي
- فرص العمل
- المؤسسة التي تعمل فيها حاليا: مناخاتها وآليات عملها ومدى افساحها المجال لعمل النساء فيها.

- ما هي هذه المؤسسة؟
- هل هناك تمييز بحق النساء في هذه المؤسسة؟
- ما هو حجم النساء فيها؟
- ما هي صعوبات العمل فيها؟ كامرأة؟
- ما هي التسهيلات التي وجدتها في هذه المؤسسة كامرأة؟ العوامل المشجعة؟
- المؤسسة التي أنشاتها لحسابها الخاص: التحديات والصعوبات وفرص النجاح المهني
- كيف هي علاقتها بالسلطة؟
- على مستوى المؤسسة العائلية
- على مستوى المؤسسة المهنية
- هل تحب السلطة؟
- ما هي مواصفات شخصيتها في المهنة؟ الثقة في النفس؟ الجرأة؟ اقتحامية؟ صدامية؟ نظامية؟ الخ.
- كيف تنظر إلى مستقبلها؟ ما هو أكثر ما يهمها في مستقبلها الشخصي:
- النجاح المهني؟
- فرص العمل؟

٣- النجاح المالي:

- ماذا يعني لك المال؟ ما هي دلالاته؟ ما هي قيمته؟
- هل المال بالنسبة إليك هدف بحد ذاته؟الأولوية للمال أم للعمل؟ كيف تعيشين وتفهمين الارتباط بينهما؟
- هل تريدين جني الثروة؟
- هل تتدخرين؟
- هل تنظرين صباحا في حقيبة يدك لتعرفي كم معك من المال؟
- هل تضعين خططا للصرف؟
- كيف تصرفين المال؟ على أي مواضيع/أشياء؟
- ماذا تشعرين حين تحصلين على المال؟

- ماذا تشعرين حين تصرفينه؟
- هل أنت حريصة عليه؟ مبذرة؟
- هل تستثمرين أموالك؟
- هل تخططين ماليا وحدك؟ هل لديك من تستشيرينه؟
- هل المال وسيلة للتغيير؟ أي تغيير نمط حياتك وحياة الآخرين؟
- ما هي أهمية مشروعك الخاص مالياً، لك ولعائلتك؟
- ما هي خططك من أجل الحصول على المال؟
- علاقتك بالمال وارتباطها بالرجل والشريك
- هل التمكين المالي والمهني يجعل المرأة أكثر قوة وحرية؟
- هل المال سلطة؟
- هل تقومين بأعمال مالية خيرية أو ما يماثلها؟ لماذا؟

= تقييم الأكبر سناً لتجربة النجاح المهني والمالي للأصغر سناً.